

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، أتحدث^١ بمناسبة ما يذكر من ميلاد ووفاة الإمام الهادي عليه السلام في أوائل رجب.

نحن نعتقد بالإمامة، معنى الاعتقاد بالإمامة أن لنا أئمة وأن هؤلاء الأئمة لهم دين لهم طريقة، لهم طريق يسرون عليه ويقودون الناس فيه، أول هؤلاء الأئمة أمير المؤمنين (ع) وآخرهم الإمام القائم الأمل المنتظر (ع)، وعاشرهم الإمام الهادي علي بن محمد (ع)، هذا الذي أريد أن أتحدث عنه بمقدار، الأئمة مختلفون في الجوانب الشخصية فيما بينهم، شخص ضعيف وشخص قوي من الناحية البدنية، شخص يشتهي شيئاً وشخص آخر يشتهي شيئاً آخر وأمثال هذا، أعمارهم متفاوتة مختلفة. هنالك أعمال مختلفة كذلك للأئمة سلام الله عليهم، الأئمة (ع) عاشوا تحت ظروف مختلفة فتلك الظروف كانت قاهرة، أئمتنا كانوا مستضعفين فكانوا يتقون، إمام كان يتقي في جانب وإمام آخر كان يتقي في جانب آخر فهم مختلفون.

هنالك شيء يشترك فيه الأئمة كلهم على الرغم من اختلافاتهم الشخصية وعلى الرغم من اختلافاتهم نتيجة الظروف الموضوعية، هذا الأمر نجده في حياتهم كلهم، ذلك الأمر هو الجهاد في سبيل المستضعفين.

الإيمان بالإمامة يعني تعهداً بأن يكون الإنسان مع الأئمة، يجب أن يعرفهم ثم يكون معهم، في الزيارات المروية عن الأئمة سلام الله عليهم، أولاً يُذكر الإمام ليُعرف ثم (فمعكم معكم لا مع عدوكم)، يعني عرفتكم الآن أنا معكم، هذه المعية ليس من الضروري أن يكون الإنسان يفعل كما كان يفعل الأئمة (ع) تماماً، فقد قلت أن الظروف الموضوعية للأئمة (ع) كانت مختلفة ونحن كذلك مختلفون، هذه المعية كانت تظهر في حياة الأئمة (ع)، فالإمام الهادي (ع) كان مع الإمام الجواد، الإمام الجواد كان مع الإمام الرضا، والإمام الرضا كان مع الإمام الكاظم مع الإمام الصادق مع الإمام الباقر مع الإمام السجاد مع الإمام الحسين مع الإمام الحسن مع أمير المؤمنين عليهم السلام مع رسول الله (ص)، هذه المعية كانت موجودة في حياة الأئمة، نحن كذلك يجب أن تكون هذه المعية موجودة في حياتنا نجسدها.

(١) تحدث به السيد محمد علي الباقر (حفظه الله) في يوم الجمعة ٧ رجب ١٤١٥ هـ الموافق ١٢/٩/١٩٩٤م، وقد تطوَّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة (الناشرون).

أولا قلت يجب أن نعرف من هو الإمام حتى نستطيع أن نكون معه، فإذا لا نعرفه لا نستطيع أن نكون مع الإمام، معرفة الإمام ليست عبارة عن معرفة شخصه، بل معرفة دينه معرفة إمامته معرفة رسالته، ثم الإنسان يرغب في هذا الشيء الذي يشكل إمامة الإمام، فإذا رغب في هذا يعني نفسه أصبحت مع الإمام، فإذا النفس أصبحت مع الإمام ورغب الإنسان في إمامة الإمام، فنفسه أصبحت طيعة للإمام منقادة لدين الإمام ولأمر الإمام، في هذه الصورة كان مع الإمام، بطبيعة الحال هذه الرغبة يجب أن تستتبع عملا وسلوكا.

لكن السلوك يتأثر بعوامل مختلفة قد لا يستطيع الإنسان أن يجسد ذلك السلوك، شخص يستطيع أن يجسد ما لا يستطيع أن يجسده شخص آخر، والناس متفاوتون بالقوة والضعف كذلك، شخص يستطيع وشخص لا يستطيع، شخص ظروفه تناسب تجسيد هذا وشخص آخر لا، لكن هو يجب ذلك. يبغض أعداء الأئمة يعرفهم ويبغضهم، يجب الأئمة يعرفهم ويحبهم، يجب إمامتهم ويرغب فيها هذا هو الشيء المطلوب.

لو كان الإمام الهادي (ع) مبسوط اليد كأمر المؤمنين (ع)، أمير المؤمنين سلام الله عليه كان مبسوط اليد بدرجة فكان يحاول أن يفعل ما فعله رسول الله (ص)، فماذا كان يفعل (ص)؟

كان رسول الله (ص) يفعل أمرين رئيسيين: الأمر الأول كان يحرر الناس، تحرير الناس كيف يكون؟ من داخل نفوسهم يعني يكسر في نفوس الناس ما يقيدهم ما يستضعفهم ما يحقرهم، أنا وأنت خلقنا الله سواء، المفروض أن لا أنا أستعبدك ولا أنت تستعبدني، المفروض لا أنا أذل لك ولا أنت تذلل لي، المفروض أنا أحس واقعا أنك مثلي وأنت تحس أنك مثلي، في هذه الصورة نحن معاً نستطيع أن نحقق الأمر الثاني الذي كان رسول الله (ص) يفعله وهو أن يكون الناس كلهم عبيدا لله تبارك وتعالى، الإنسان الذي يضعف أمام الأشياء الأخرى هذا لا يستطيع أن يكون عبدا لله تبارك وتعالى، ولأجل هذا كان يقاتل أئمة الكفر حتى لا يستضعفوا الناس، كذلك رسول الله (ص) في داخل المجتمع كان يحاول أن يكسر العوامل التي تستعبد الناس وتستضعفهم وتقيد نفوسهم، كان يحاول أن يكسرها ونجح، وعلى هذا الأساس المجتمع في ذلك الحين أصبح مجتمعا سواء -سواسية- وأصبحوا عبيدا لله تبارك وتعالى، بشكل عام بطبيعة الحال.

هذا الأمر لا يمكن أن يكون، يعني لا يمكن أن الإنسان الفاقد لوسائل ومتع الدنيا أن يشعر بأنه مثل من يملك تلك الوسائل إلا أن يعتقد -فاقد الوسائل الدنيوية- بأن هذه الوسائل لا قيمة لها، هل أنت تستطيع أن تتصور بأن شخصا يهتم بهذه الوسائل وفي نفس الوقت لا يضعف؟ يعني يرى ويشعر أن هذا الشخص الذي

يملك وسائل الدنيا بأنه هو مثله، هل هذا يمكن؟ شخص يملك مركزا دنيويا أنا لا أملكه -ليس من الضروري أن يكون هذا المركز محرما-، هل تفكر بأنه من الممكن أن يقال لي أنت اعتبر نفسك مثل هذا، هل هذا يصير؟ إلا أن أكون أنا في قرارة نفسي أعتقد بأمر وذلك الأمر يجعل هذا المركز حقيرا، هذا الأمر هو الإيمان أن الدنيا متاع وأن الآخرة هي الحيوان، فالإيمان بالآخرة بصدق هو الذي كان يجعل الإنسان المؤمن الفاقد لمتاع الدنيا مثل الإنسان الذي يملك، في ذلك المجتمع أصبح صاحب المركز وصاحب المال وصاحب الدنيا مثل الشخص الذي لا يملك هذه الأشياء، الشعور كان متبادلا، على الأكثر كان خطاب التحرير، وجهة التحرير، تحرير الناس من الداخل موجهة للأشخاص الذين يُستعبدون لا لهؤلاء الذين يملكون وسائل الاستعباد، وعلى هذا الأساس ينقل عن أمير المؤمنين (ع): (لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا) تختلف هذه الكلمة عن الكلمة التي تنقل عن أحد الخلفاء (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا)، هذا الخطاب موجه لهؤلاء الكبار، خطاب أمير المؤمنين موجه للناس: أنت لا تكن عبد غيرك، يجب أن تعي يجب أن تفهم، يجب أن تنتبه.

هذا الأمر الذي بعد وفاة رسول الله (ص) تغير، كان المسلمون في عهد رسول الله (ص) كأسيان المشط، الانحراف الرئيسي حصل في هذا، فأطلق سراح الذين يستعبدون الناس ويستضعفونهم، فبرز في المجتمع أناس بالتدريج، أصبح أناس في القمة وأناس في القاع، أناس أصحاب مراكز وأصحاب أموال وأناس يفتقدون المال، المشكلة لم تكن في هذا، فهذا الأمر موجود دائما، حتى في عهد رسول الله (ص) كان هناك أناس أثرياء وأناس معدومون كانوا يعيشون في الصِّفة.

أنا نقلت لكم -سابقا- قصة جويبر ذلك الإنسان الأسود الدميم الذي كان عبدا جائعا وفقيرا، حينما يقول له رسول الله (ص) اذهب فاخطب بنت زياد بن لبيد البياضي رئيس بني بياضة والبنت كذلك جميلة ومعروفة، ووالدها معروف له مركز اجتماعي، من دون أية مشكلة يذهب فيتكلم معه بقوة -انطلاقا من الدين- لا يشعر بأي حزازة بأنه هو أقل شأنًا من هذا، زياد ثري وشيخ عشيرة وله ديوانية عامرة، وجويبر إنسان فقير دميم لا نسب له ولا حسب، لكنه يشعر بأنه هو مثل زياد، زياد بطبيعة الحال في بداية الأمر ما كان يرى أن هذا مثله، هذا شيء طبيعي، دائما هكذا موجود، فلا يُتوقع إلا نادرا من أمثال زياد بن لبيد أن يأتي فيجعل جويبر يشعر أنه هو مثله، بطبيعة الحال زياد بن لبيد كان من خيرة أصحاب رسول الله (ص) بعدئذ، ربما هذه القضية أثرت عليه كثيرا.

قليل من الناس من يكون مثل مالك الأشتر الذي كانت -مثلا- القضايا بيده، حينما يُستهزأ به فيدخل مسجدا فذلك الشخص -الذي استهزأ به- حينما يعرفه بعدئذ يتبعه فيأتي إلى هذا المسجد حتى يعتذر منه، فيقول له مالك بأني دخلت هذا المسجد حتى أستغفر الله لك، قليل من يعامل الناس هكذا، يعني الشخص الثري أو الذي له مركز يعامل الناس بأنه يريد أن يُحترم يريد أن يُعز هذا موجود.

تغير الأمر بعد وفاة رسول الله (ص)، بطبيعة الحال كان هناك صلاة وكان هنالك صيام لكن الناس لم يكونوا أحرارا بعدئذ، كان هنالك فئة مُستعبدة وفئة مُستعبدة، فئة مُستضعفة وفئة مُستضعفة، ناس يملكون ويملكون العز بسبب هذا الذي يملكونه وناس يفتقدون ويفتقدون العز يشعرون بالذل، هذا الشيء موجود كما الآن. المشكلة صارت أسوأ مما كانت قبل بعثة رسول الله (ص)، قبل بعثة رسول الله (ص) كان الناس علنا ينكرون الآخرة ولا يؤمنون بالله تبارك وتعالى، مثل الآن الكفار بينون حياتهم على أساس أنه لا يوجد إله ولا يوجد آخرة، وعلى هذا الأساس يزينون الشخص ويزينون الدنيا فالشخص يبرز فيُروجونه، أما بعد وفاة رسول الله (ص) كانت الآخرة موجودة لكن بقيت لفظا، الآخرة بعد ما كانت تستطيع أن تحرر لأنها حُرِّفت فجعلت في خدمة الدنيا، هذه الكلمة التي تنقل عن أحد الخلفاء أنه قال لأحد الأثرياء حينما مات وأتوا بذهبه الكثير حتى يقسمه فقال إنه خلف خيرا، هذا الكلام لم يكن كلاما عابرا فهذا كان يُعز، بالمقابل أبو ذر الذي كان لا يملك كان يُعتبر ذليلا، تفكر بأنه في مجتمع كهذا كم يوجد مثل أبي ذر لا يذل أبدا؟ كثيرون من الناس نسقوا مع الوضع وتنازلوا. أمير المؤمنين سلام الله عليه قاتل في سبيل هؤلاء المستضعفين الذين استضعفوا حتى يتحرروا مرة أخرى، حتى لا يستعبدهم المال الذي بأيدي الآخرين، حتى لا تستعبدهم المراكز، شخص له مركز - نفترض بشطارته أو بعلمه وصل إلى مركز- هذا المركز يبقى مركزا دنيويا لا قيمة له فالآخرة هي الحيوان.

فأمير المؤمنين (ع) حاول بجهد أن يقاتل في سبيل الآخرة، في مقابل الآخرين الذين كانوا يقاتلون في سبيل الدنيا باسم الإسلام هناك صلاة هنا كذلك صلاة، هناك صيام هنا كذلك صيام، حتى بعض أصحاب أمير المؤمنين سلام الله عليه احتاروا فكادوا أن يرتدوا في صفين حينما وجدوا أن المسائل تقريبا متشابهة، هكذا كان. أمير المؤمنين (ع) استطاع أن يحرر النفوس، هؤلاء الذين ما كانوا يذلون، أنت تتعجب إذا تفكر كيف كانوا كذلك، وعجبك يزول إذا فكرت أكثر، تلك الفئة التي قامت مع الإمام الحسين (ع) كيف كانت بتلك القوة وبتلك الصلابة؟ هؤلاء لم يكونوا كما يقال بأن الإمام الحسين (ع) كشف لهم الغيب وأراهم الجنة، لم تكن المسألة

بهذا الشكل وإنما نتيجة جهود أمير المؤمنين (ع) هؤلاء - وأناس آخرون كذلك - كانوا مؤمنين بالآخرة، وعلى هذا الأساس إذا كان الإنسان مؤمناً بالآخرة إيماناً قوياً فالدنيا كلها تصبح في نظره حقيرة، رغم ما يقوم به أئمة الكفر من ترويجها وتزيينها، هؤلاء استطاعوا أن يقوموا ضد عبيد الله بن زياد وضد عمر بن سعد وضد يزيد بن معاوية هذا شيء طبيعي.

الأئمة (ع) هكذا كانوا، كانوا يقاتلون في سبيل المستضعفين، كانوا يقاتلون حتى أنا وأنت إذا نملك لا نستعبد الآخرين بل نجعل ما نملكه نجاهد به في سبيل الله، يعني نفتح الطريق أمام الناس فنصرفه لتحرير الناس، أنا حينما أملك لا ألبس حتى أبهرك، هذا معنى الإيمان بالإمامة، أمير المؤمنين (ع) هكذا كان، حينما أملك لا أركب سيارة فارحه - حتى لو كانت مُحللة - حتى أبهر الناس، أستضعفهم أحقرهم وأحقر نفسي كذلك، هل أنا -نفترض- حينما أتباهى وفق مقاييس كافرة أولست أكون محقراً لنفسي مصغراً إياها؟ وإذا كنت لا أملك فلا أنظر إلى من يملك أن هذا صاحب شيء عظيم، بل متاع وبلاء سينتهي بعد أيام قلائل، وبهذا أصحاب أمير المؤمنين سلام الله عليه حينما كان معاوية يريد أن يرضيهم ويجعلهم يرتبطون به عن طريق الإغداق بالأموال - خصوصاً بعض الأشراف - كانوا يرفضون، كيف استطاعوا أن يرفضوا المال؟ كيف استطاعوا أن يرفضوا المركز؟ رفضوا الرئاسة لأن الرئاسة أصبحت حقيرة في نفوسهم، لأن المال أصبح حقيراً في نفوسهم، والمال إذا أصبح حقيراً فأصحاب الأموال كذلك - بما أنهم أصحاب الأموال - يُصبحون حقراء، هكذا يكون.

تلك الطريقة استمرت إلى أن سادت بالتدريج المدينة انتقلت إلى الشام، المدينة مدينة رسول الله (ص) بقيت لكن العاصمة عاصمة المسلمين انتقلت إلى الشام، دمشق كانت مدينة عامرة متطورة ويدل عليها مسجدها، هذا المسجد كان كنيسة وبعدئذ رمم بطبيعة الحال، كانت مدينة متطورة وبنو أمية طوروها أكثر.

فلنفكر تفكيراً واقعياً، مثلاً حينما شخص يبني قصراً، أنت حينما ترى هذا القصر ألا يؤثر عليك؟ تفكر يؤثر عليك أم لا؟ يزين لك الدنيا أم لا يزين؟ أم أنت لا مبالي تجاه هذا القصر؟ الناس لهم طبائع موحدة تقريباً، وهكذا استمر هذا الوضع.

بنو العباس أتوا إلى الحكم وسكنوا الحيرة، كانت قرية من الكوفة ونتيجة عوامل مختلفة انتقل المنصور وبنى بغداد - مدينة المنصور - طورها هو، استمر الأمر إلى عهد المعتصم فبنى سامراء وأتى بعده الواثق ثم أتى المتوكل العباسي فوسع المدينة، حينما يتحدثون عن هذه المدينة كانت قد تشكل القمة في الحضارة حسب المقاييس التي

تطرح، قمة التطور، مثلاً بُني مسجد الآن آثار هذا المسجد موجودة إلى الآن، هذا المسجد كان تقريباً حوالي ثمانية وثلاثين ألف متر مربع وله مئذنة، هذه المئذنة بنيت على أساس المنائر البابلية في عهد البابليين وعلى أساس منائر الإغريقين، مئذنة بطبيعة الحال باسم المسجد، هذا المسجد أعمدته من الرخام وكانوا قد زخرفوا جدران هذا المسجد وزينوها وجعلوا فيها مرايا بحيث أنه أي شخص كان يتحرك داخل هذا المسجد الكبير كان يُرى، وصرف عليه في ذلك الحين خمسة ملايين درهم، وبعد ذلك بمدة ينقلون أن كل موارد الدولة العباسية كان عبارة عن مليونين ونصف دينار، يعني نفترض حوالي ١٢ مليون درهم أو أكثر، قمة في التطور.

في هذا الوقت يؤخذ الإمام الهادي (ع) من مدينة منعزلة -هو كان يعيش في قرية-، يؤخذ إلى هذه المدينة المبهرة، قصور، شارع واحد يقال مُدّ في ذلك الحين حوالي ١٧ كيلو عرضه مئة متر وعلى حافته نهران يجريان، قصور، قصور المتوكل، قصور يتأسف لها الكفار وصنائع الكفار أنها لم خربت، لو كانت موجودة كانت تعكس الحضارة الإسلامية، فائمة الكفر يروجون الحضارة الإسلامية، لا يوجد في نفوسهم مشكلة تجاه الإسلام كحضارة، إنما مشكلتهم تجاه الإسلام كدين.

أنا لا أريد أن أتحدث عن قضايا كثيرة ينقل أنها حصلت للإمام الهادي (ع)، تولى المتوكل الخلافة سنة ٢٣٢هـ وفي نفس السنة جلب الإمام الهادي (ع) إلى سامراء، بعد بناء هذه المدينة المتطورة بـ ١٠ سنوات والتي كانت تجسد قمة حضارة المسلمين، بعدئذ المتوكل وسع وبنى الجعفرية مدينة كاملة، ودخل قصراً بناه، عاش فيه ٦ أشهر وقتل وبعدئذ دمرت تلك المدينة، الإمام الهادي (ع) أخذ إلى هذا المكان، وُضع أولاً في خان، والخان في السابق كان بيتاً كبيراً فيه غرف كان يسكنه الفقراء المعوزون، فأُسكن في هذا المكان، يُنقل أن أحد شيعة الإمام الهادي (ع) زاره في هذا المكان فبكى -للإمام الهادي (ع) مع هذا الشخص يوجد حوار في هذا- فرأى أن هذا ذل، هؤلاء يريدون أن يُذِلُّوا الإمام الهادي (ع) بدل أن يُنزلوه في قصر من هذه القصور، بدل ذلك ماذا فعلوا به؟ أنزلوه في هذا المكان، هل ترى أن ذلك الشخص كان على صواب في تأذيه؟

ثم نقل الإمام الهادي (ع) إلى مكان أفضل، دائماً كان الإمام الهادي (ع) يؤمر في أن يزور المتوكل في قصره -القصر مبهر- مثلاً من قصور المتوكل بنى بيتاً كبيراً في النهر كل جوانبه من البلور (الزجاج) داخل الماء، الماء من فوق ومن تحت ومن الأطراف الأسماك كانت تلعب، وكان يجلس هناك مجلسه الذي يُشرف على بركة السباع،

أسود نمر ذئاب غزلان وأمثال ذلك، على جدران قصره كانت توجد زخارف ملفتة للنظر من الذهب وغيرها، كان يستقبله وكان يستقبل غيره كذلك.

إن الله خلق الناس بفطرة متشابهة، الإنسان يستطيع أن يعرف هؤلاء، نحن يجب أن نعيش الإمام الهادي (ع) - لا كشخص - يجب أن نعرفه ويجب أن نرغب في الكون معه وإلا لا نكون إماميين، هذه المسائل واضحة في نظري، تفكر بأن الأشخاص الذين كانوا يزورون ذلك القصر ويجلسون مع المتوكل العباسي كم بالمئة منهم كانوا ينجون ولا يُستضعفون؟ كم بالمئة منهم كان يقول بأن هذه لا قيمة لها؟

كل الناس كانوا يُروجون هذا الشيء حتى من كان مؤمناً متديناً، حينما كان يجد كبار الشخصيات الدينية في ذلك الحين كانوا يُوسِّطون الأشخاص ليلتقوا بالمتوكل وكانوا يتمنون زيارته وكانوا يخاطبونه بأمر المؤمنين بكل انشراح وترحيب، ففي نظرك كم شخص يستطيع أن ينجو من هذا الوضع؟ يُدخل المتوكل ضمن الإسلام - بطبيعة الحال قد يقول أن المتوكل ظالم - وكذلك قصر المتوكل مدينة المتوكل جعفرية المتوكل سامراء المتوكل كلها كانت تدخل ضمن الإسلام وأبدا لا تصطدم بالآخرة، فيقال الإيمان بالآخرة جيد وهذا كذلك جيد. هذا الذي أقوله تتفهمه أو لا؟ تستطيع أن تحس به؟ يقال مركب المتوكل جيد ومراكب جماعة المتوكل جيدة، يا ليت كان لي مثل هذا، كان داخلاً في الإسلام واستمر ووصل إلى هذه القمة.

ما كان يُطلب من الإمام الهادي (ع) إلا أن يكون شخصاً من هؤلاء العلماء، واحداً من هؤلاء العلماء فيُعزّز ويُكرم ويُحترم، يتهجّد بالليل يصلي كما يشاء وينهى عن بعض المنكرات ويأمر، يعظ الناس ويُبيّحهم لا بأس، المتوكل كان يدعم بعض رؤساء المذاهب بالمال حتى يُبكي الناس ويعظهم، لكن الوعظ الخاوي غير الهادف، من دون أن يتحول هذا الوعظ إلى حالة في النفس، ليتحرر الإنسان ليتحول إلى مجاهد في سبيل الله، يعرف سبيل الله ويعرف سبيل المستضعفين.

في هذه القصة التي ينقلها صاحب مروج الذهب - بعض النصوص أنه توفي في سنة ٣٣٣ هـ فإذاً كان قريباً من هذا العهد الذي كان يعيشه المتوكل وعلى أسوأ التقادير كانت الفاصلة بينه وبين هذا العهد شخص واحد واسطة واحدة - ينقل هذه القصة: (سُعي إلى المتوكل بعلي بن محمد (ع) أن في منزله كتباً وسلاحاً من شيعة من أهل قم، وأنه عازماً للوثوب للدولة..). أئمتنا (ع) بعد استشهاد أمير المؤمنين (ع) ما كانوا يريدون هذا لأن الأرضية ما كانت متوفرة، تحوّل قتالهم، قتال أمير المؤمنين (ع) كان قتالاً ظاهرياً وقتالاً باطنياً كذلك في

داخل مجتمعه، أمير المؤمنين (ع) كان يقاتل، ذلك القتال كان أصعب، كان يقاتل لأن هذا الإنسان لأن قمبر مثلاً لا يُستضعف، يشعر بأنه هو مثل أمير المؤمنين (ع)، فكان (ع) يطعمه طعامه ويلبسه لباسه -قصة معروفة- باعتباره هاشمياً وباعتباره هو أمير المؤمنين يجب أن لا يشعر قمبر -الذي هو عبد- بأي ميزة لأمر المؤمنين (ع) باستثناء أنه إمام يجب أن يطاع. لهذا كان يقاتل (ع).

هذا القتال استمر، كان الأئمة (ع) يقاتلون، لكن مع الأسف هذا النوع من القتال شؤّه كثيراً، لأن الآخرين كانوا يقاتلون في سبيل الطاغوت، في سبيل هذه الدنيا، الآن كذلك أليس بين الذين يدعون الإيمان بإمامة الأئمة (ع) من يقاتلون ضد أمير المؤمنين (ع)؟ ماذا يعني يقاتلون ضد أمير المؤمنين (ع)؟ يعني يستضعفون الناس ويستعبدونهم بتصرفاتهم -بسلوكهم- وأموالهم، هذا تماماً خلاف ما كان يفعله رسول الله (ص) وما يفعله أمير المؤمنين (ع)، ويعتبرون أن هذا تشييع، وهو متدين وملتزم بالمسائل الشرعية ويقلد كذلك، هذا الشخص مستعد أن يشوّه أمير المؤمنين (ع) لأجل أهوائه أو جهلاً، هذا في ذلك الحين كذلك كان موجوداً، هو التاريخ الذي ينقل أقوال وتصرفات هؤلاء الذين يحسبون على الأئمة (ع).

(.. فبعث إليه جماعة من الأتراك فهاجموا داره ليلاً فلم يجدوا فيها شيئاً، ووجدوه في بيت مغلق عليه وعليه مدرعة من صوف وهو جالس على الرمل والحصى وهو متوجه إلى الله تعالى يتلو آيات من القرآن..). لم يجدوا شيئاً، لكن حسب منطقهم أن هذا الذي لا يخضع لي يقتضي عنده أموال أكثر مني أو عنده أموال تغنيه، لا يفكر أن من يطلب العز من الله هو العزيز، بأن من يؤمن بالله وبوجه الله المتجسد في الآخرة هذا لا يذلّ لأحد (.. فطلبه فحُمِل على حالته تلك إلى المتوكل فقالوا له لم نجد في بيته شيئاً ووجدناه يقرأ القرآن مستقبل القبلة، وكان المتوكل جالساً في مجلس الشرب فدخل عليه والكأس في يد المتوكل..) تفكر أن هذا الخبر حينما ينتشر كثيرون من الناس كانوا يعرفون هذا الشيء وكانوا يجدون هذا الشيء، هذه القضية لم تكن خافية.

لو لم يكن بهذا الشكل كان قطعاً يذل للمتوكل، هذا هو القتال في سبيل المستضعفين، بسلوكك بتصرفاتك بحياتك، أي إنسان حينما كان يضعف، حينما كان يجد أن الإمام الهادي (ع) هو إمام، أو على أقل التقادير هو ابن رسول الله (ص) هو في القمة من آل علي (ع)، هكذا كان يعيش -في سامراء المتطورة التي كان كل الناس فيها يتسابقون إلى الدنيا وإلى الحصول على بسملة من المتوكل- هو هكذا يعيش وعلى هذا الأساس لا

يَذَلِّلُ لِلْمُتَوَكِّلِ، تَفَكَّرْ لَوْ أَنْتَ كُنْتَ هُنَاكَ وَكُنْتَ تَضَعُفُ وَتَجِدُ الْإِمَامَ الْهَادِي (ع) كَمْ كُنْتَ تَشْعُرُ بِقُوَّةٍ، هَذَا هُوَ الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ الْمُسْتَضْعِفِينَ يَسْنَدُكَ لِأَنْ لَا تَضَعُفَ، يَقْوِيكَ لِأَنْ لَا تَضَعُفَ، يَبْعِدُ عَنْكَ وَيَدْمُرُ فِي نَفْسِكَ الْمُتَوَكِّلَ وَجَمَاعَتَهُ لِأَنْ تَكُونَ حَرًا طَلِيقًا، هَذَا هُوَ الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ الْمُسْتَضْعِفِينَ.

(.. ثُمَّ كَانَ فِي الْمَجْلِسِ فَلَمَّا رَأَاهُ هَابَهُ وَعَظَّمَهُ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبِهِ..) هَذَا شَيْءٌ طَبِيعِي هَؤُلَاءِ دَائِمًا هَكَذَا، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَذَلُّونَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا وَمَرَكَزِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ دَائِمًا يُهَابُونَ، فَالْإِنْسَانُ إِذَا لَمْ يَذَلَّ لَا شَيْءٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَذَلَّهُ، الْحِجَاجُ بْنُ يُوسُفَ قَتَلَ بَعْضَ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ مَا كَانُوا يَمْلِكُونَ أَيَّ شَيْءٍ لَكِنْ مَقْتَلُهُمْ كَانَ يَقْلُقُ مَضْجَعَهُ إِلَى وَقْتِ وَفَاتِهِ كَانَ يَخَافُ، لَا تَسْتَهِنُ بِنَفْسِكَ إِذَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقُولَ لَا لِدُنْيَا أُمَّةِ الْكُفْرِ وَأَتْبَاعِهِمْ، إِذَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقُولَ لَا، كُلَّمَا كَانَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ أَقْوَى اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْرَزَ بِنَظَرِهِمْ، لِأَنْ هَؤُلَاءِ لَا يَتَوَقَّعُونَ أَنْ إِنْسَانًا يَسْتَطِيعَ أَنْ يَقُولَ لَا لِمَخْطَطَاتِ أُمَّةِ الْكُفْرِ، لَا، لَا أَشْتَرِي هَذَا لَا أَكُلُ هَذَا لَا أَفْعَلُ هَذَا لَا أَذِلُّ هَذَا لَا أَحْتَرَمُ هَذَا وَلَا أَصَادِقُ هَذَا، يَتَعَجَّبُ مِنْكَ! مَجْنُونٌ أَنْتَ! بِالتَّدْرِيجِ هُوَ بِقَرَارَةِ نَفْسِهِ يَشْعُرُ أَنَّكَ أَنْتَ أَكْبَرُ مِنْهُ وَيَحَاوِلُ أَنْ يَدْمُرَكَ لَكِنْ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ هُوَ يَشْعُرُ بِأَنَّكَ أَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ، هَذَا صَحِيحٌ أَوْ لَا؟

(.. وَنَاوَلَهُ الْكَأْسَ الَّتِي كَانَتْ فِي يَدِهِ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا يَخَامِرُ لِحْمِي وَدَمِي قَطْ فَاعْفَنِي، فَأَعْفَاهُ فَقَالَ أَنْشِدْنِي شِعْرًا فَقَالَ (ع) إِنِّي قَلِيلٌ الرَّوَايَةِ لِلشَّعْرِ فَقَالَ لَا بَدَ..) حَتَّى يَقَالَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ الرِّضَا (ع) كَانَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، هَذَا هُوَ الْمَهْمُ لِلْمُتَوَكِّلِ أَنْ هَذَا يَجِبُ أَنْ يَسْتَمِرَّ بِاسْمِ الْإِسْلَامِ وَإِذَا يَقَالَ أَنْ فَلَانَا كَانَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ، فَإِذَا عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ (ع) مَا شَرِبَ الْخَمْرَ لَا بِأَسْ، لَكِنْ هَذَا الْوَضْعُ وَهَذَا الْقَصْرُ وَهَذَا الْمَجْلِسُ وَهَذَا الْمَقَامُ، هَذِهِ الْجِهَةُ يَجِبُ أَنْ تُثَبَّنَ وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ رَائِجًا، يَجِبُ أَنْ النُّفُوسُ تَعْبُدَ هَذَا الْوَضْعَ، تَمِيلُ إِلَى هَذَا الْوَضْعِ. هَذَا الَّذِي يَنْقَلُ (بَاتُوا عَلَى قُلُلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ غَلَبَ الرِّجَالِ فَلَمْ تَنْفَعَهُمُ الْقُلُلُ) إِلَى آخِرِ هَذِهِ الْأَيَّاتِ، يَقَالُ بِأَنَّ حَتَّى الْمُتَوَكِّلَ بَكِي، شَعْرٌ بِحَقَارَةٍ وَانْهَزَمَ، الْمُتَوَكِّلُ لَمْ يَكُنْ وَحْدَهُ، انْكَسَرَ الْمُتَوَكِّلُ وَانْكَسَرَتِ الدُّنْيَا فِي نَظَرِ كُلِّ هَؤُلَاءِ الْمَوْجُودِينَ، كَانَ بِإِمْكَانِهِمْ أَنْ يَبْصُرُوا لَكِنْ كَثِيرِينَ مِنَ النَّاسِ لَا يَتَعَقَّلُونَ، وَفِيهِمْ مَنْ تَعَقَّلَ أَكِيدُ. هَكَذَا كَانَ الْإِمَامُ الْهَادِي (ع)، هَذِهِ إِمَامَتُهُمْ كَانُوا يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ، كَانُوا يَحَاوِلُونَ أَنْ لَا يَتَشَوَّهَ الْإِيمَانُ بِالْآخِرَةِ، مِثْلَمَا الْآنَ إِنْسَانٌ مُؤْمِنٌ حِينَمَا تَتَكَلَّمُ مَعَهُ تَقُولُ لَهُ أَنْتَ تَفْعَلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، هَذِهِ الْأَشْيَاءَ تَسْتَضَعِفُ أَنْاسًا تَمْنَعُهُمْ عَنْ أَنْ يَكُونُوا عِبِيدًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى! كُنْ أَسْوَأَ لِإِخْوَانِكَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَا حِينَمَا أَنْظُرُ إِلَيْكَ

يجب أن أتأسى بك وأتقوى بك، حينما أنظر إلى ملابسك أو حينما أنظر إلى مركبك، يقول ويتكلم فكأنه بمنطق الكفر يتكلم، يقول بأن الله ما حرم هذا الشيء من أين تأتي بهذا، يصلي ويصوم وملتحى كذلك!

قاتلوا في سبيل الله والمستضعفين (وأيهم الله لأن يهدي الله على يديك رجلا خيرا لك مما طلعت عليه الشمس وغربت) فكر أنت عاقل، أنصف الناس من نفسك وفكر ما هي الأشياء التي تؤثر على قوة الأشخاص ليكونوا عبيدا لله وحده؟ ليكون الحمد لله وحده، ليكون الشكر لله وحده ليكون الله هو أكبر، وما هي الأشياء التي تستضعف الناس؟ هؤلاء الذين أتوا بعد وفاة رسول الله قالوا نحل حلال محمد (ص) ونحرم حرام محمد (ص) فماذا تريد؟ نستفتيك كذلك كانوا مستعدين ويستفتون أمير المؤمنين سلام الله عليه بعد وفاة رسول الله (ص)، يستفتونه أو لا؟ كانوا يستفتونه في الحلال والحرام بأن هذا يجوز وهذا لا يجوز!

الإمامة، كيف يجب أن يكون الإنسان، انتبهوا لا تتوقعوا من هؤلاء -الذين يريدون الدنيا ويستضعفونكم- أن يتنازلوا، هم يملكون كل شيء في سبيل ترويج هذا باسم الدين، كذلك من الممكن أن يشتروني أنا بطريقة معينة ويجعلوني أروج دينهم وطريقتهم، هذا ممكن كن متنبهاً، أمامك أئمتك، أمامك إمامة الأئمة، هذا من نعم الله العظيمة علينا أن هنالك إمامة، إمامة طولها ٢٦٠ سنة ابتداء من هجرة رسول الله (ص) إلى وفاة الإمام الحسن العسكري (ع) والآن هذه الإمامة موجودة تنتظر للقيام، فلا نستضعف الآخرين ولا نضعف، لا نذل ولا نُذل، الإنسان العاقل إذا أراد أن يفهم فساعة من الوقت إذا يحددها يستطيع أن يفهم ما هي الأشياء التي إذا عملها تذل المؤمنين وما هي الأشياء التي لا تذلهم، ما هي الأشياء التي إذا فعلتها تقويهم وما هي الأشياء التي تضعفهم، ممكن فهمها أم لا؟

أنت فكر، لا تنتظر أن هذا يقوله لك أحد، قد لا يقوله لك مجاملة أو مراعاة لوضعك، هناك نظرة موجودة، نظرة الحد الوسط وهي أن هذا الشخص إذا أقول له كل شيء قد يبتعد عن الدين، فيقال دعه يصلي ويصوم على أقل التقادير وليذهب مع الدنيا لا بأس! لا، نحن الآن يجب أن ننتبه، ونحن نأمل ونرجو أن يقوم قائمنا (ع)، نحن لا بد أن تكون لنا رغبات واضحة تلتقي برغبات الإمام القائم (ع) تلتقي بالإمامة، فالقائم (ع) يلبي رغباتنا، هذا يجب أن نعرفه ويجب أن نسعى إليه.

والحمد لله رب العالمين